



# حارس

مكتبة بيت الحصریات

[www.makttbah.blogspot.com](http://www.makttbah.blogspot.com)



# البحث

میسره الدندراوی

أبو صير - الجيزة.

بعد منتصف الليل..

العاشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

شق أول لسان برق عملاق ظلام السماء، وبدأ كأنه فلاح كاميرا  
عملاقة تصور لقطة فوتوغرافية خاضة تحمل عنوانًا بارزًا.

الأطلال.

ثم تبعه لسان البرق الثاني.

وللحظات أنارت أضواء السماء أطلال مبنى بُني من أحجار  
ضخمة، اكتشف حديثًا بين الأهرامات القصيرة التي أوشكت الرمال  
أن تغطي قممها البالية.

ثم ضربت أول صاعقة القضيب المعدني فوق هرم ماحورع..  
وانتفض جسد الحارس المسكين أحمد بدران، فكاد يسقط من  
فوق مقعده الخشبي.

- بسم الله الرحمن الرحيم.. امتر يا رب.

ثم راح يحوّل ويقرأ المعونتين بشفتين ترتجفان من أثر البرد،  
وأحكم لف الكوفية الصوفية السوداء حول رقبته..

للمرة الأولى منذ ثلاث سنوات، يقبل وردية حراسة ليلية في موقع

الأثار المكتشف حديثًا، والذي تحرمه شركة الأمن الخاص التي  
يعمل بها..

- منك لله يا مرشدي.. يعني حبكت مراتك تولد في الليلة الغبرة  
دي..

ثم فرك كفيه طالبًا مزيدًا من الدفء، ورفع جسده النحيل  
الممشوق من فوق المقعد، واتجه بخطوات متثاقلة إلى الطاولة  
الصغيرة داخل الكشك المبني من أحجار أسمنتية، وراح يعد كوب  
شاي ساخنًا..

كوب سيبقيه ماهرًا لساعات معدودة، حتى يلعب النوم بعقله  
وجسده المرهقين، فيسلم جسده للمقعد الخشبي، وتسقط رأسه  
على صدره ليغط في نوم عميق، حتى يوقظه منه حارس الوردية  
الصباحية..

لسان برق جديد، ثم تبعه صوت اصطدام العمالقة السماوية  
المعبأة بالمياه..

وانهمرت الأمطار..

راح ينظر للأمطار عبر زجاج النافذة، وهو يرى شبحًا لوجهه  
الأسمر، بينما عيناه تراقبان الأمطار المنهمرة فوق تلك الأطلال..  
الأطلال التي يسمونها، بيت أوزير

سمع يومًا ذلك الرجل القصير النشيط، وهو يتراقص بين كتل

الأحجار، ويصرخ بصوت خشن لا يناسب جسده الضئيل.

- يا لا يا رجالة.. عايزين نزيح التراب من هنا بأسرع وقت قبل ما الليل يليل علينا.

فيجيبه صوت حريمي رفيع من مكان ما.

- أنت متأكد يا دكتور رجب إن دي أطلال قصر الحكم فعلاً؟

فيقف واضعاً كفيه في وسطه وهو يراقب الأحجار الضخمة متابعاً:

- الكتابة على الحجر واضحة يا مريم.. هنا جلس أوزير على عرش كيمت.. وهنا قام العدل.. يبقى أكيد دي أطلال قصر حكم كيمت.. يعني أطلال القصر اللي حكم منه أوزير كيمت من أكثر من ألف سنة.

أفاق بدران من خواطره على صوت صاعقة جديدة ضربت الأرض على بعد أمتار من كشك الحراسة، فراح يقلب الشاي مسرعاً وهو يغمغم:

- عديها على خير يا رب.

هو لا يعرف أوزير ولا كيمت، ولا يهتم كثيراً بالأحجار والأطلال.

هو يهتم فقط بالجنيحات التي تمنحها إياه هذه الوظيفة، والتي تضيع على علاج أمه العجوز وتقيم أود اختين أوشكتا أن تصلا إلى آخر العشرينات، وهما بلا أزواج ولا مستقبل..

مثلته تمامًا..

لسان برق جديد يضيء السماء..

لكنه في هذه المرة لم يعد إلى مكانه فوق المقعد..

خيل إليه أنه رأى خيالاً يتحرك بين الأطلال..

فرك عينه بيده اليسرى، ثم جرّع جرعة عملاقة من كوب الشاي الساخن..

الأمطار تضرب السقف فوق رأسه، ولسان برق جديد ينير سكون الليل..

في هذه المرة لم يكن محتاجاً لفرك عينيه..

فعلى الجلب الآخر من النافذة، رأى في التماعة البرق وجهًا نسائيًا حادًا، شفّتيه ابتسامة شيطانية عابثة..

تراجع إلى الخلف وأجفل، فسقط كوب الشاي من يده اليمنى، ليتحطم الكوب ويتناثر الشاي الساخن فوق ثيابه..

راح يبسمل ويحوقل وهو يرتجف في رعب..

لم يكن ما رآه خيالاً قط، فهو ليس ابنَ مدينةٍ رقيقًا ممن تصيبهم الخيالات في الظلام والأمطار..

لقد رأى ما رآه فعلاً..

مد يده أسفل المقعد، وأخرج الصاعق الكهربائي الصغير، وأحكم

رباط الكوفية على رقبته، وقد انتوى أن ينهي ذلك الآن..

سيخرج لتلك المرأة الآن..

فإذا كانت بشرًا، فسترحل الآن أو ميصعقها بصاعقة بقوة ٢٢٠ فولت ويقيدها في هذا الكشك حتى الصباح..

وإذا لم تكن بشرًا، فسيعود إلى الكشك مباشرة، ويحكم غلق الباب عليه، ويقرأ آية الكرسي خمسين مرة على الأقل، حتى يأتي الفجر..

هو صعب المراس، متين البنيان، ترى على كسر أعواد القصب بيده الحرة..

لا يخشى شيئًا من لحم ودم، ولا يخشى شيئًا يعرفه..

لكن ما لا يعرفه، فلن يقترب منه..

فوق كل ذي علم عليم.

ردد الجملة هامشًا، ولم يعرف إذا كانت مناسبة للموقف أم لا، لكن هذا ما خطر بباله الآن..

فتح باب الكشك، ومر عبره، لتصطدم الأمطار الغزيرة بشعره المجعد، وتغشي عينيه الواسعتين..

خطا فوق الأرض الطينية، والكشاف في يده اليسرى، وضوؤه الضعيف يجاهد الظلام، بينما راح هو يجاهد حتى يستدير حول الكشك، إلى موضع النافذة..

وقف معطياً ظهره للنافذة، وراح ينظر يمناً ويسرة وهو يقلب  
ضوء الكشاف في الفراغ المظلم..

لسان برق جديد مطع في الظلام، فخيل له أنه رأى جسداً معلقاً  
في الفراغ..

جسداً معلقاً في الفراغ..

تراجع بظهره وهو يبسم، فاصطدم بجدار الكشك الحجري..  
وفجأة سمع الصوت المليء بالفحيح من كل مكان وكأنه يأتيه من  
داخله.

- ما تحاولش يا بدران.. خلاص.. الأمر نفذ.. والدم مال..

التفت يميناً ويساراً في رعب، وهو يقلب ضوء الكشاف، بينما يده  
تضغط لا شعورياً فوق زر الصاعق الكهربائي..

- أنت مين يا حرمة.. أنت مين.. أنت إنس ولا جنا

صاعقة عنيفة ضربت الجو، وراح صوت الرعد يدوي حوله..

وعلى الرغم من الدوي الذي كاد يصم الأذان..

سمع الصوت من جديد حوله.

- قولتك ما تحاولش يا بدران.. الدم مال فوق بيت أوزير.. وجه

معاد الحساب.. صرخ بصوت عالٍ وسط هزيم الرعد بصوت دوي

في أركان الأطلال.

- حساب ايه يا حرمة أنت.. اظهري وبالي لو كنت إنسية.. ولو كنت  
جنية انصرفي بلا شر.. انصرفي..

دوت الضحكة المليئة بفحيح آلاف الأفاعي حوله..

دوت أمامه وخلفه وفوقه.. عن يمينه وعن يساره..

دوت بلا صمت، بلا توقف، بلا فواصل إعلائية..

ثم توقفت كأنها لم تكن هناك..

وساد الصمت إلا من صوت المطر فوق جسده ورأسه..

وجد نفسه يتقدم في رعب ناحية الأطلال، وكأن قدميه تتحركان

بغير إرادة منه، وراح يوجه الكشف إلى الأطلال الحجرية..

تقدم حتى اصطدمت عيناه بتلك القدمين العاريتين..

وعندما رفع الكشف إلى أعلى قليلاً، راح يتبين الأبعاد..

جسد عار كما ولدته أمه، علق مفروود الذراعين بحبلين غليظين،

يتصلان بعامودين حجريين من الأطلال الغابرة..

وعندما رفع الكشف قليلاً نحو الرأس والرقبة..

وعلى صدر الجسد العاري، أسفل الرقبة، رأى تلك العلامة المحفورة

بشيء أشبه بالوشم الذي دقه في مولد سيدي عبد الرحمن وهو بعد

مراهق في سن الفتوة..

رمز أشبه بحدوة الحصان..

وعندما رفع الكشاف قليلاً، راح يكشف معالم الوجه..  
وعندها، ضرب لسان برق جديد ظلام الليل، ليكشف للحظة ذلك  
الوجه الذي يعتلي الصدر العاري..  
وهنا سقط الصاعق الكهربائي من يده..  
وراح يصرخ بلا انقطاع .. يصرخ حتى غلب صراخه هزيم الرعد..  
يصرخ حتى كادت روحه تخرج من حلقومه..  
ثم سقط جسده كجلمود صخر فوق الأرض الطينية..  
وانتهى كل شيء..

\* \* \*

## الحلقة الأولى

البعث

1

الطريق الدلاري الشرقي - القاهرة.

العاشرة مساء.

الحادي عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

- «الأمطار تهطل بغزارة غير مسبوقه منذ عشرة أعوام».

هكذا سمع المقدم كريم إبيب تلك الجملة، المشبعة بكهرياء

إستراتيجية، تخرج من قلب سقاعة المذيع في سيارته الهیونداي الصغيرة، والأفكار تمضغ خلايا عقله المجهد، وهو في طريقه إلى مصلحة الطب الشرعي..

خمسة أعوام مرت منذ أن كان قريبًا منه هذا القرب..

خمسة أعوام مرت منذ أن صرخ معترضًا في وجه من كان يعتبرهم فريقه وأصدقائه، وارتحل من وسطهم كذئب وحيد وهو لا يحمل في ثنايا عقله إلا هدفًا واحدًا..

محمد حارس.

يذكر يوم وقف منتصب القامة، حليق الوجه، وعيناه معلقتان بصورة ضخمة لرئيس الجمهورية، ويجلس تحتها جسد مترهل، شعر رأسه أوشك على الزوال، وعيناه اللامعتان الساخرتان تشتغلان بالتحديق إلى أوراق وهمية، ويده الضخمة الممتلئة تخط خطوطًا غير مفهومة فوق أوراق أخرى..

طريقة توفيق إسماعيل الشهيرة في تمثيل الأهمية..

- أزيك يا سيادة المقدم.. استرح استرح.

قالها بصوته الجهوري، وبحروفه التي غمس كل حرف منها في مداد سخريته اللاذعة المقيتة.

جلس كريم، وضم ساقيه ناصبًا قامته الطويلة، وضم كفيه لتبرز عضلات كتفيه التي أوشكت أن تنفجر من أثر التمارين الأخيرة،

التي وأظب على ممارستها في السنين الخمسة.

- تعال يا كريم باشا.. صحيح تشرب قهوة.

- شكراً يا فندم.. بطلت الشاي والقهوة بقالي شوية.

- ما شاء الله.. أنا شايف برضه إنك ما شاء الله يعني واخذ بالك من صحتك وبقيت راجل رياضي أهو.

- يعني بنحاول سعادتك.

أخرج توفيق ميجارة ذات فلتر أجنبي من قلب العتبة، وألقمها جانب فمه الأيمن، ثم قال وهو يشعلها بقداحته الفرنسية:

- أنت عارف.. أنا كنت راجل رياضي زيك كده أيام كلية الشرطة.. كنت حارس مرمى الكلية سنتين على التوالي.. بس أنت عارف الجواز والأسرة وضغط الشغل.

- كان الله في العون يا فندم.

- صحيح يا كريم.. أنت متجوز؟

طريقة توفيق إسماعيل الشهيرة في تحويل مسار أي مناقشة.

إلا أن كريم أجاب باقتضاب:

- لسه الأوان ما جاش يا فندم.

- أوان ايه يا راجل.. ده أنت داخل ع الأربعين.. يعني يا دوب تلحق.

ثم نفث دخان ميجارته في محابة رمادية عملاقة ارتفعت ببطء

إلى سقف الغرفة.

- بس أنت عارف.. عندك حق برضه.. أصل موضوع محاولة واحدة ده برضه صعب جدًا.

ثم أتبعها بضحكته الباردة المستفزة، ونفث دخان سيجارته وهو يتناول ملفًا منتفخًا بالأوراق، وناوله لكريم متابعًا:

- الموضوع اللي في الملف ده يخصك أنت.. صراحة كده يخصك جدًا جدًا.

التفت كريم إلى غلاف الملف، والتقطت عيناه حرفي الميم والحاء، فابتسم في هدوء وهو يربت على الملف المنتفخ.

- كثير أوي الورق ده يا معالي الوزير.. مش حضرتك برضه بتشجع على الحفاظ على البيئة؟

- طبعا.. أنت عارف ميامستي.. البيئة أولًا.

ثم منحه ابتسامته الساخرة المكتومة، فحول كريم نظراته الباردة إلى الملف. الملف الذي يحتوي خلاصة أربعين عامًا من التتبع واقتفاء أثر صاحب الملف.. راح يتصفح أوراقه في عشوائية، وبشم رائحة الورق الحكومي المصفى المشبع برطوبة أرشيف الوزارة القديم.

- ملف عملاق فعلاً.. على الرغم يا فندم إن الموضوع يتلخص في كلمة واحدة.

نظر له توفيق في اهتمام، فوضع كريم الملف فوق الطاولة الصغيرة أمامه، وعقد كفيه، ومسحت عيناه في الحائط الزجاجي، الذي يفصل مكتب توفيق الأنيق عن حجرة الاجتماعات المصغرة.

- أسطورة.. الموضوع كله مجرد أسطورة.

دفن توفيق سيجارته المنتهكة في منفضة سجايره الزجاجية، وقال وهو يطرق أصابع كفيه:

- أحيانًا تبقى الأسطورة أهم من الحقيقة يا كريم.. أحيانًا تكون الأسطورة هي المفتاح الوحيد اللي ممكن تفهم منه الحقيقة.

هرش كريم في ماله القصير وعلى وجهه أمارات عدم الاقتناع، ثم سال محاولاً تغيير دفة هذا الحوان:

- آخر ظهور يا فندم؟

- ده سؤال ولا دي معلومة ولا دي ايه؟

ابتسم كريم، وتخيل نفسه مجرد شخصية في رواية مكتوبة، ما أن يتم كلامه حتى يضع علامة الاستفهام في آخره، ثم تابع:

- آخر ظهور كان فين يا فندم؟

- الحسين.. جنب الجامع.

- عجيبة...

ثم عقد كفيه من جديد، ونظر إلى الملف متابعًا:

- والجرايم اللي كان بيعسى وراها.. كلها متعلقة برضه بالأسطورة؟  
- عايز نصيحتي يا كريم.

التفت كريم إلى توفيق، وعيناه لا زالتا تسرحان في الفراغ، بينما قال توفيق وهو يشعل سيجارة جديدة:

- ما تدورن في المكان ولا في الجرايم يا حضرة المقدم.. دور ورا الأسطورة نفسها.. الأسطورة يا كريم.

صوت نفير سيارة نقل يأتي من خلفه، فشعر كأن شريط الحكاية قد تشابك في بكرات مخه، وعاد منه إلى قلب الواقع.. أمطار غزيرة تكسو الطريق الأسفلتي الزلق، وذلك الوغد خلفه مصر على القيادة بسرعة مائة وعشرين كيلومترًا في الساعة، بسيارة حمولتها ثلاثون طنًا!!

النفير يتصاعد من جديد..

صوت هاتفه المحمول يتصاعد من سماعات السيارة، فيضغط أصبعه فوق زر أخضر في عجلة القيادة.

- مساء الخير

صوت عميق كمذياعي الراديو يأتي من السماعات.

- مساء النور.. وبعدين بقى؟

زفر كريم في غضب وصوت النفير يصدح خلفه من جديد..

- وبعدين ايه يا كريم باشا.. أنا لسه بقول مساء الخير

- لا لا.. الكلام مش ليك أنت.. مين حضرتك؟

تنحى صاحب الصوت وكأنه على وشك إلقاء طقطوقة موسيقية.

- أنا علي الملاح.. خبير أدلة جنائية.. والمكلف بالتعاون معاك في قضية البدرشين.

- يا ابن الكلب يا حيوان.. أنا آسف حقيقي آسف.. دي مش ليك والله.

ضحك صاحب الصوت في وقار:

- لا ما هي أكيد مش ليا.. صوت كلاكس النقل اللي وراك خرم ودني حرفيا.. المهم.. أنا في انتظار حضرتك في الإدارة.. أنا والدكتورة هناء عبد الجواد.

لف كريم عجلة القيادة ناحية اليسار، وأبطأ من سرعته وهو يتوسط الطريق الزلق أمام سيارة النقل.

- أنا آسف يا سيد علي.. بس أنا طلبت السيد مصطفى الحلواني والدكتورة إيرين شكر الله.. مع شديد احترامي لحضراتكم.

- كان بودي أساعدك يا سيادة المقدم.. بس حضرتك هتتعامل المرة دي مع الملاح.. مفيش حلواني المرة دي.

النفير يتصاعد، وتصحبه أضواء متقطعة ساطعة، وكريم يضحك

متلنذا:

- طيب يا علي بيه.. أنا هستأنذك بس دلوقتي.. عشان أهوف  
العريجي ده عايز ايه. وبعد كده هيبقى ليا كلام تاني مع سيادة  
اللوا.. بعد إنذك.

- بس يا كريم باشا أصل...

ضغط إبهامه الزر الأحمر غير عابى بالرجل الوقور الذي يحاول  
إكمال جملته، ثم أبطأ من سرعته، وضغط زرًا آخر في السيارة،  
فصدحت مارينة الشرطة المزعجة من سماعة صغيرة مثبتة في  
سقف السيارة، والإنارة الزرقاء تتراقص فوق السقف..

وهنا فقط توقف النفير المزعج وتوقفت الإضاءات الساطعة  
المزعجة.. وبينما يدير عجلة القيادة إلى اليمين، أخرج كريم ذراعه  
من نافذة السيارة وهو يشير للسائق..

- يالا يا اخويا.. اركن على جنب يا حبيبي..

وعلى الرغم من غزارة الأمطار وضياح صوت كريم وصياحه في  
فراغ الهواء المبتل، لكن السائق التقط الرسالة وصف ميارته إلى  
جانب الطريق.

وبينما يهبط كريم من ميارته، والأمطار الغزيرة تضرب معطفه  
المضاد للأمطار همس في غضب.

- يعني ايه مفيش حلواني.. ها.. يعني ايه؟!

(2)

المعادي - القاهرة.

العاشرة والنصف مساء.

الحادي عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

يصدح صوت فيروز في جنبات الشقة..

يزيح الأثرية العالقة بالستائر القديمة، ويهز البخور الهندي

المتصاعد من عود مشتعل معلق في حلق باب المطبخ، وينشر ضوء

الشمس ونسمات الصباح الشتوي في أرجاء حجرة الجلوس..

بينما جلس سيف على مقعده الأثين الذي تضرب الأشعة الصفراء

الباهتة ظهره، ممسكا في يده قلما فرنسيا تكسر غطاؤه، وبهت

حبره، يخط به أحرفا متفرقة فوق صفحة جريدة..

- عشرة رأسي.. فيلم لفريد شوقي.. مبعة حروف آخرهم راء

وفاء...

ثم يبتسم وهو يرفع كوب القهوة المشروخ إلى طرف شفتيه،

ويسحب بصوت مرتفع تلك الرشفة القصيرة.

- ياه.. القهوة بردت أوي...

ثم ينظر بعينين كسولين إلى باب المطبخ، الواقف موارثا في نهاية

ذلك العمر القصير..

- لا بعيد أوي.. هشريها باردة وخلص..

ثم يرشف رشفة جديدة، وينظر من جديد إلى المربعات السوداء والبيضاء..

تذكر أنك حملت رواية حارس البعث حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصریات أكبر مكتبة للكتب والروایات الحصرية والمميزة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب في خلة البحث مكتبة بيت الحصریات هنظهرلك.

قهوة باردة، وأيام باردة، وأنفاس باردة كلنفاس الموتى تخرج من صدره، الذي يحتله قلب بارد، كاد أن يتوقف مرتين هذا العام..

وطبيب ذو ابتسامة باردة، يقول في برود:

- لو كنت ناوي تقتل نفسك بالكافيين والكوليسترول.. امتمر.. أحبك.

- والنيكوتين.. نسيت النيكوتين يا دكتور.

ينظر الطبيب بنظرته الباردة إلى وجهه المرهق الساخن ثم يخلع نظارته، ويكرر كلماته ذات الحروف الباردة.

- أوعدك لما تيجي المرة الجاية بين الحياة والموت.. هسيبك تموت.. خسارة فيك الكهرياء اللي هنعشك بيها.

- تبقى عملت فيا جميلة.. ووفرت الكهريا.

نظرة غاضبة أخيرًا، تكسر ذلك الجمود والبرود فوق القناع المجعد..  
قناع الدكتور منصور عبد الفتاح. عمه..

- يعني عايزني أبقى زيه وأوصل من العمر أرزله عشان اتحول  
لهوميا متحركة.. وأبقى داخل على التملين وأنا لسه بشتغل وبـ....  
سمع الضحكة الرنانة تدوي في أذنه، فجفل ومقط القلم من يده.  
- امسك نفسك يا سيف مش كده.. أنت شفت عفريت.  
- وبعدين معاك يا مصطفى.. قولتك بلاش الدخول الدرامي ده...  
- الله.. مش خيالك يا أخي.. يعني لازم أبقى درامي وبحب  
السامبينس زيك..  
- خياله..

صديقه الذي لا يوجد إلا في عقله فقط..  
الصديق الذي لم يدركه فأحبه، وعندما أدركه كره وجوده، ثم تعلم  
الآن أن يتصالح معه..  
تخيل أن لديك زائدة جلدية ممثلة بالدهن الطري أسفل أذنك، لا  
فائدة منها لك كرجل إلا أن تشد منها وأنت طفل صغير لكنك تتعلم  
أن تعتادها ولا تكره وجودها..  
فقط تخيل لو أصبحت تتحدث معك بل وتشاركك لعب الشطرنج  
وحل الكلمات المتقاطعة..

وشرب القهوة الباردة..

ألقى سيف بالجريدة فوق الطاولة.

- وحضرتك بتضحك على ايه؟

- لا ولا حاجة.. أصل موضوع بتشتغل ده ضحكني أوي.

- أنت بتتصنت عليا يا مصطفى؟

ضحكة ساخرة جديدة تهوي على رأسه كدلو ماء بارد.

- أه صحيح.. نسيت إنك عايش جوة دماغى.. سامعني يعني.

- مؤخرًا.. ما بقتش بسمع إلا اللي أنت عايزني أسمع به بس.. أصلك

عرفت إنى كده كده موجود.. والمعرفة حاجة خطيرة يا صديقي.

صوت جرس الباب..

صوت رنة واحدة، رنة بلا أي توابع..

- طيب اتدارى أنت بقى عشان نشوف مين.

- تاني يا سيف.. ده احنا ما صدقنا إنك اعترفت وفهمت...

- خلاص ما تداراهش.. ممكن أقوم افتح الباب بقى.

ثم نهض متثاقلاً، وعبر الممر الصغير نحو باب الشقة الملاصق

لباب المطبخ، وتنضح بصوت مسموع:

- مين؟

لا إجابة..

كرر المحاولة محاولاً تصنع الشدة.

- مين عالباب؟

انعقد حاجاه عندما أجابه الصمت من جديد..

لكن الصوت الذي سمعه، فك انعقاد حاجبيه، واتسعت معه عيناه  
حتى كادتا أن تغادرا جمجمته..

- افتح يا سيف.

فالصوت الذي أجابه كان آخر صوت توقع أن يسمعه..

\* \* \*

(3)

التجمع الخامس - القاهرة الجديدة.

العاشرة صباحاً.

الثاني عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

- يا سيادة اللوا أنا كنت عايز أقول...

- ولا كلمة يا كريم.. ولا كلمة زيادة.

ثم زفر اللواء حسني الفيومي في غضب، وهو يكور ورقة ما فوق  
مكتبه، ويلقي بها عبر حجرة مكتبه..

اللواء حسني الفيومي، مساعد الوزير العجوز المحنك، الرجل الذي  
بدا حياته العملية في المباحث الجنائية منذ أن تخرج من الكلية،  
حتى أصبح أقدم من خدم فيها من ضباط..

أشاح كريم بوجهه ناحية الفاصل الزجاجي، الذي يفصل بين  
مكتب اللواء، ليصطدم وجهه بوجه النقيب علاء شتا، الذي يعمل  
معه حديثاً في الإدارة..

نظرات لائمة ارتسمت على وجه علاء، وحركة خفية من يده بمعنى  
«مشي حالك».

لكن كريم لم يكن سهل المراس أبداً.

- يا حسني بيه.. ما هو أنا برضه لازم أشتغل مع الناس اللي تريحي  
وأعرف أشتغل معاهم.. دي تعليمات معالي الوزير.

- جرى ايه يا سي كريم.. أنت بتهديني بمعالي الوزير ولا ايه؟

مش قصدي يا فندم.. بس أصل تعليمات معالي الوزير....

ضربة عنيفة فوق سطح المكتب الخشبي الأنيق قاطعت كلمات  
كريم وحبتها في حلقه.

بينما اللواء حسني يتابع في غضب هادر:

- أقسم بشرفي الذي لا أملك إلا هو يا كريم يا لبيب.. لو جت  
مسيرة معالي الوزير تاني على لسانك.. لاكون محولك للاستيداع  
بنفسي.. وهفضل وراك لحد ما أطلعك من الخدمة.. ولو كالت آخر

حاجة أعملها في حياتي.

ثم عاد بظهره على مقعده الجلدي الضخم، وعقد أصابع كفيه أسفل ذقنه، وسهام عينيه النافذتين تضريان وجه كريم الحليق.

- أنا آسف يا حسني بيه.

- خلاص انتهىنا...

ثم أخرج سيجارة محلية الصنع، طولها أطول من ليالي الشتاء، وأشعلها غاضبًا بضربة واحدة من قداخته.

- ودلوقتي يا أستاذ... اتفضل على مكتب العمليات اللي خصصهولك معالي الوزير. وهتلاقي هناك السيد علي الملاح في انتظارك. ومعاه الطيبة الشرعية اللي كلفت بالقضية.. وعازك تتعاون معاهم كويس.. لمصلحة القضية يا سيد.

ثم حدجه بنظرة نارية من بين سحب دخان السيجارة متابعًا:  
- ولمصلحتك أنت كمان...

نهض كريم واقفًا، وانتصبت قامته وهو يحني رأسه ممتثلًا:  
- تمام معاليك.. بعد إنذك.

ثم تجاوز الباب الزجاجي المصنّف، ومشى خمس خطوات بالتمام والكمال ناحية الممر المؤدي إلى المكاتب الفرعية الفخمة، والتي بذل توفيق إسماعيل تصميمها بالكامل، لتصبح ذات طابع عصري

شبيه بالشركات متعددة الجنسيات..

- بقت مكاتب بلاستيك.. ووشوش بلاستيك...

همس بها اللواء حسني، ثم أمسك بسماعة هاتف مكتبه، وقال في هدوء:

- الدكتورة وصلت؟. هتوصل بكرة الصبح.. طيب ممتاز.. لا  
الدكتورة هناء هترجع الإدارة النهاردة.. لا عندها مهام تانية.. مع  
السلامة.

ثم وضع السماعة، ونفت آخر أنفاس سيجارته، قبل أن يدفنها في  
المنفضة الحجرية، متابعًا:

- لما نشوف آخرتها معاك يا كريم يا لبيب.. لما نشوف آخرتها.

*telegram: @alanbyawardmsr*

ثم نهض من خلف مكتبه، وراح يجوب الحجرة ذات الفاصل  
الزجاجي، فبدأ كروميل ليلة اقتحامه برقة، ثم توقف عن الحركة  
فجأة، وارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة، ثم مد يده في جيبه،  
وأخرج هاتفًا محمولًا صغيرًا، من طراز توقف إنتاجه قبل العقد  
الثاني من القرن الحادي والعشرين، وطلب رقمًا يحفظه عن ظهر  
قلب.

- الو.. أزيك يا سيف.

- حسني باشا.. صباح الخير يا سيادة العميد.

- لوا يا سيف.. بقيت لوا بقالي سنتين.

أتت ضحكة سيف المرحّة -على غير عادته- من سماعة الهاتف الصغير.

- مبروك معاليك.. تستاهلها عن جدارة واستحقاق.

- بطل شغل الحلمبوحة ده.

- لا ده رباء عادي يا فندم.. على سبيل ال.. ال...

ثم صمت فجأة وهو لا يزال يبحث عن الكلمات المناسبة، إلا أنه تذكر شيئاً ما، فقال بلهجة ملهوفة:

- حضرتك مش هتصدق اللي حصل امبارح.. ده أنا...

- عارف.. عارف يا سيف.. وده اللي مكلمك علشان.

- حضرتك عارف مين اللي جه يزورني امبارح.

- أنا اللي باعته يا سيف...

ثم ارتسمت تلك الابتسامة الخبيثة على وجهه، بينما تعالت ضحكات سيف الجذلة، وتخيله اللواء حسني وكأنه يصفق في سعادة كطفل في محل الألعاب.

- ودلوقتي.. أنا محتاج أشوفك.. ضروري يا سيف.

- تنور يا فندم.. العنوان هو هو.. والبن هو هو.. غامق محوج زيادة.

- الله يرحمه اللوا إبراهيم.. خلاص هعدي عليك بكرة بالليل.. مع السلامة.

ثم أغلق الخط، وراح يريت بالهاتف الصغير فوق كفه، وتلك  
الابتسامة الخبيثة لا تبارح شفثيه العجوزتين.

- كده نعرف نشتغل زي الناس يا توفيق.. كده نشتغل زي الناس.  
وانسعت ابتسامته أكثر وأكثر.

\* \* \*

(4)

تمي الأمديد - الدقهلية.

الواحدة صباحًا.

الثالث عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

تصاعدت أصوات قرقرة الجوزة، وطرقعة الفحم المشتعل فوق  
الأحجار الخزفية..

ومعه تصاعدت أصوات ضحكات رمضان وخميس وعامر..

ثلاثة رجال في أواخر ثلاثيناتهم، لا يجمع بينهم سوى الفقر  
والعوز والبطالة المقنعة..

عامر وخميس يعملان بالأجرة في أراضٍ غيرهم، يعملان شهرين  
ويعطلان خمسًا، وخلال الخمسة أشهر يتباربان في إنفاق ما  
اكتسباه على جلسات المزاج وأحجار الجوزة المغلفة بالحشيش..  
بينما رمضان، ذلك الدولاب المتحرك، فهو يبيع عضلاته لمن يدفع

أكثر. في أغلب المجتمعات يسمونه بلطجيا، لكنه يفضل أن يمنح نفسه لقب «فتوة».

- آني فتوة ياض منك له.. ومسيري في يوم من الأيام أبقي ولا عاشور الناجي في زمانه.

فيسحب خميس أنفامًا متلاحقة من الجوزة ويقول بصوت مكنوم:

- مين يا ولا عاشور الن.. الن....

- عاشور الناجي يا طحش..

- اللي أنت بتقول عليه دهون..

يبتسم رمضان ساخرًا، ثم يسحب منه الجوزة ويقول ساخرًا:

- ده بيعمل فيديوهات عالتيك توك..

ثم تتصاعد الضحكات مع سحب الدخان الزرقاء عاليًا..

وخلف جلستهم التي امتدت منذ ساعات الليل الأولى، يسقط ضوء القمر لامعًا فوق مبنى حجري صغير يقف منتصبًا خلفهم..

مبنى أشبه بعطية حجرية صغيرة، تقف فوق تبة اختلط صخرها برملاها..

هم لا يعرفون، وربما تمي الأمد يد كلها قد لا تعرف ماذا كان يسمى هذا البناء البسيط..

لكنها تعرف.

تعرف الناموس الحجري..

تلك المتسللة حلقة الرأس، رشيقة القوام، التي تتسلل خلف ذلك  
البناء الحجري الصغير..

عينها تلمعان في الظلمة، ووجها المثلث القاسي يحمل ابتسامة  
اختلطت فيها مخربتها بقسوتها بمكرها..

وقفت المرأة في تلك البقعة التي يرتمي فيها الظل الذي يولده  
احتكاك نور القمر بالناموس الحجري..

تمامًا خلف الناموس الحجري الصغير.

ثم أغمضت عينيها العسليتين، وعندما فتحتهما كان شكلهما قد  
تغير وتحول تمامًا.

عينان مشقوقتان، اختلط فيهما اللون العسلي البراق بلون أخضر  
قاتم.

ثم بدأ الفحيح.

فحيح ألف أفعى متجمعًا في صوت واحد.

وعلى بعد أمتار قليلة، أنهى خميس أنفاس الجوزة، ثم نفث الدخان  
وهو يسعل حتى كادت روحه تغادر جسده الضئيل، بينما توترت  
عضلات رمضان النائمة أسفل جلبابه الصوفي.

فرمضان يملك حواس الذئب وطباعها.

شيء ما داخله يخبره أن هناك صوتًا عجيبًا، وشيء ما يدور خلف ذلك الناموس الحجري المناصب خلفهم.

وهنا ظهرت الأفاعي.

ثلاث أفاع قصيرة في حجم خرطوم الماء الذي يرش به عامر حديقة المأمور في الليالي الصيفية مقابل جنيتها معدودة، لكنها سمكة الجلد مخيفة المنظر.

- ولا يا عامر.. السنجة معاك يا ض؟

- أنت عارف يا رمضان ما بتفارجنيش.

- طب ناولهالي من مكات.. وما تفارقش موطرحك.

بينما سعل خميس في عنف، وقال بصوت خمول وحروف متقطعة من أثر الحشيش:

- أنت جراك ايه يا ض يا رمضان؟

- تعالين.. المكان مليان تعالين.

- هو المكان بسر.. دي الدنيا كلها مليانة تعالين.

زمجر رمضان غاضبًا، وهو يزحف ببطء على الأرض الترابية كالذئب الذي يزن فريسته.

- بقولك تعالين يا ابن المسطولة.. تعالين.

التفض خميس، وهب واقفاً وهو يصرخ كفتاةمراهقة رات فازاً  
سميئاً في مطبخ ضيق:

- يا حوستي السوداء.. يا سوادك يا خميس.

- ششش.. بطل ولولة ياض أنت واقعد ساكت.

صوت الفحيح يتصاعد، والمرأة الرشيقة تتلوى في الهواء وقد  
ارتفع جسدها عن الأرض بضعة سنتيمترات، وذراعاها مفرونتان  
كانها مصلوبة على صليب وهمي في الفضاء، بينما تلتف حولها  
خمس أفاع شرسة، تخرج أسنتها المشقوقة في جشع.  
ورمضان يزحف في اتجاه الأفعى على الجانب المقابل.

وفي اللحظة المناسبة التي أوحى له بها حاسته الذببية، رفع يده  
بالسنجة الحادة مسنونة الجانبين، وهوى بها على رأس الأفعى،  
ففصلها عن جسدها..

وبحركة رشيقة لا تناسب جسده العملاق، التف حول نفسه وهوى  
بالسنجة فوق رأس الأفعى الثانية..

بينما رفع عامر قطعة فحم مشتعلة بماسكة الفحم المعدنية، وراح  
يحركها في وجه الأفعى الثالثة التي اقتربت منه في محاولات  
يائسة ألهمها بها عقله المجهد بفعل أنفاس الحشيش..

وخميس لا زال يصرخ كالمراهقات.

والمرأة لا زالت تتلوى في عنف.

ومسحابة سوداء مقيتة غطت نور القمر فساد ظلام عميق تلك  
الأطلال..

وبينما يهوي رمضان على رأس الأفعى الثالثة بالسنجة، كان  
خميس قد فقد الوعي من كثرة الصراخ.

ومع قطع رأس الأفعى الثالثة، وقف رمضان يلهث في عنف،  
وجسده العملاق ينز عرقًا باردًا.

- عامر.. قوم شيل الواد العرة ده ويالا بينا.

- أشيل مين.. ما يتحرق.. أني مش قادر أشيل نفسي.

ألقى رمضان بالسنجة تحت قدم عامر ثم رفع خميس فوق كتفه  
كأنه طفل رضيع، ومشى موليًا ظهره لعامر مغادرًا تلك الأطلال..

بينما صرخ عامر عليه في هلع:

- أنت رايح فين يا رمضان؟

- هنمشي من هني.. المكان ده ما هنعتبوش تاني.

- طب والجوزة والحاجة هنسيبهم.

- عايز تخليك جنبهم أنت حر.. أني مفارق.

وقف عامر وطرف جلبابه معلق في يده اليسرى، ويده اليمنى

ترتعث من فرط التوتر، أو من فرط المخدر الذي راح يتلاعب

برأسه ويؤخر ردود أفعاله، وراح يدور بعينه في المكان، ثم أخيرًا،

رفع عينيه نحو رمضان وقد اتخذ قراره أن يلحق به..

لكن رمضان اختفى في الظلام.

راح يصيح منادياً رمضان، لكن صوته راح يجيبه في إلحاح..

بدأ الهلع يدب في قلبه، بينما التمع لسان برق ساطع في السماء فوق رأسه. مستمطر بلا شك، وإذا أمطرت فستتحول هذه الأطلال إلى برك آسنة يعلق فيها كالحمار الساقط في المصرف..

لا بد أن يولي الأدبار الآن..

لكن الصوت كان يقترب منه..

في البداية ظن أن إحدى الأفاعي لا زالت حية، فركع على ركبته وراح يبحث عن السنجة التي ألقاها رمضان أمامه..

*telegram: @alanbyawardmsr*

وصوت الفحيح يتعالى ويتضاعف حتى كاد يصم أذنه.

وعندما وجد السنجة، وعندما راح يتنفس الصعداء وعندما التف ناحية مصدر الصوت شاهراً السنجة في يده.

عندها سقطت السنجة من يده.

وكان آخر ما رآه، هو أفعى عملاقة في طول امرأة شابة يافعة، تخرج لسانها المشقوق في جشع من بين فك مثلث حاد الأنياب..

كان هذا آخر ما رآه بالفعل.

لأن الحية فاغرة الفك، كانت الآن تطبق فكها على وجهه.

ولم يجد عامر فرصة كي يصرخ ...  
لم يجد فرصة لفعل أي شيء...  
سوى الموت.

\* \* \*

(5)

التجمع الخامس - القاهرة الجديدة.  
الثانية عشرة ظهرًا.

الثالث عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

جلس كريم على مقعده خلف المكتب الخشبي الأنيق، وراح يدق  
بأصابعه فوق الخشب الصناعي الناعم..

بينما أمامه جلس علي الملاح، بقامته الشبيهة بممثلي الأفلام  
الأجنبية..

رأس حليق، وعينان واسعتان زرقاوان، ورائحة عطر ما تفوح من  
جنبات جسده الممشوق..

وذقن حليقة ناعمة كأنما حلقت لتوها..

جلس يقلب في شاشة جهاز لوحي، حفر على ظهره علامة التفاحة  
الشهيرة.

- احنا مستنيين ايه يا اخ علام؟

- علي.. علي الملاح...

- أيوة يا أخ علي.. معلى لسه بتعود على الاسم.. المهم احنا مستنيين ايه بقى؟

دون أن يرفع عينيه عن الجهاز اللوحي، قال علي بصوته الإذاعي:  
- الدكتور.. المفروض إنها على وصول..

- الدكتور اللي اسمها.. اسمها...

وراح يقطع بأصابعه كي يذكره علي بالاسم..

لكن هذا الأخير تجاهله تمامًا، وراح يقلب في صور متعددة على شاشة الجهاز.

- أيوة اسمها ايه الدكتور؟

- لما توصل هتعرف.. بسيطة.

- مش أنت قولتلي إن اسمها هناع باين؟

- طب ما أنت فاكرا هوا

كاد كريم أن يصاب بالفالج، وتصاعد الدم إلى رأسه..

هو كريم لبيب، أكثر الناس بروذا ولا مبالاة. كريم لبيب الذي درب نفسه طوال خمس سنوات على أن يكون ذا قلب مائت هرايينه،

وتجمد أذنيه وبطينه..

لكن هذا الشبيه بـ«فن ديزل» يبدو كلوح ثلج صناعي متحرك..  
ثم إن عينيه زرقاوان، وكريم لا يثق في أصحاب العيون الزرقاء..  
- أيوة فين بقى الدكتور هناع؟

- لا الدكتور هناع اتكلفت بمهمة تانية.. وفي دكتور تانية جاية..  
بس مش أي دكتور.

- بمعنى؟؟

للمرة الأولى، يرفع علي عينيه الزرقاوين، ويحدق ببرود في وجه  
كريم.

- أنت مستعجل ليه يا كريم باشا.. كلها دقيقة وهتلاقيها بتخبط  
على الباب ده.

- يا سلام عالدقة.. واشمعى دقيقة يعني؟

- لأن معادها اتناشر وخمسة.. والدكتور ما بتتاخرش على معادها  
أبدا.. أصلها لسه راجعة من بريطانيا.. واتعلمت احترام المواعيد  
منهم.. مواعيد انجليزي يعني.

وما إن أتم عبارته، حتى صدرت دقات مكتومة على باب الحجرة،  
فصاح كريم بصوت جهوري:

- ادخل ياللي بتخبط...

ثم نظر إلى علي بنظرة ساخرة:

- شكك مكشوف عنك الحجاب يا علي.

- دي ثقة في النبي آدم يا باشا.

وما أن فتح الباب، حتى ظهرت على عتبة امرأة رقيقة، دقيقة  
اللامح، قمحية البشرة، عقصت شعرها الأسود المموج خلف رأسها،  
وارتدت عوينات طبية كبيرة الحجم تداري نصف وجهها.

وما أن رآها كريم حتى أفلت قلبه دقتين، ونهض من فوق مقعده..  
وما أن خطت داخل الغرفة، حتى نهض علي الملاح مبتسقا، بينما  
ابتسمت هي في بساطة:

- كريم باشا.. أعرفك الدكتورة.

- إيرين.. إيرين شكر الله.

واتسعت ابتسامة إيرين..

بينما كاد قلب كريم يتوقف تماما..

تذكر أنك حملت رواية حارس البعث حصريا ومجانا من على موقع  
مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية  
والمميزة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب في  
خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

(6)

التجمع الخامس - القاهرة الجديدة.

الثانية ظهرا.

الثالث عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

برودة المشرحة من جديد.

كريم يقف مرتديًا ذلك الفطاء القطني المعقم فوق ثيابه، ويضع  
قناعًا واقيا يغطي نصف وجهه، بينما تقف إيرين في ثياب مماثلة  
وقد غطت شعرها بكيس قماشي، وعلي الملاح يفحص الثياب  
والأحذية في ثياب مماثلة..

وأمامهم على طاولة المشرحة الباردة، يقبع جسد لشاب أبيض  
نحيل البشرة، عار كما ولدته أمه..

لكن ما رآه كريم جعله موشگا على إفراغ معنته..

في مكان الوجه، كان كل شيء قد تشوه تمامًا، وقد تآكل نصف  
الوجه الأمامي كاشفًا عن عظام ناصعة، وقطع من الوجه قد تناثرت  
حتى...

وهنا أشاح كريم بوجهه ناحية ثلاثيات الموتى ذات الأرقام  
المسلسلة، الشبيهة بأدراج الأرضيف، وقال:

- ايه اللي ممكن يشوه وشه بالمنظر المرعب ده؟

- الحقيقة مقدرش أقول الكلام ده بلوقتي.. لازم أفحص أماكن  
التمزق هنا وهنا.. وأماكن النهش هنا و...

ثم قطعت عبارتها عندما لاحظت أن كريم قد أدار وجهه بعيداً،  
فارتسمت على وجهها ابتسامة ساخرة وقالت:

- أنت لسه بتخاف من الجثث؟

- اه لسه بخاف.

ثم نظر لها وقال هامساً:

- كنتي فين يا إيرين؟

- كنت في انجلترا.. بالتحديد في مكان اسمه بريستول.. جنب  
الـ

- بطلي استفزاز يا إيرين.

تنحى علي الملاح مع ارتفاع صوت كريم، ثم رفع قطعة ملابس  
ممزقة بمشبك معدني، وابتعد قليلاً عن طاولة الفحص..

بينما كان كريم متحفظاً كقط ميامي، همست إيرين من بين  
أسنانها:

- مش وقته الكلام ده يا كريم.

- أو مال امتي وقته يا إيرين.. امتي.. لما ألاقيك مسافرتي تاني  
ومبتيني؟

- مش أنا اللي مبتك واتهمتك بالجهل وقاطعتك سنة ونص..  
ودلوقتي بعد إنذك عشان أهوف شغلي.

كور كريم قبضته غضبًا، ثم لكم بها جانب فخذ، وراح يحاول  
التنفس حتى تهدأ عضلات بطنه المتوترة..  
- أنا ما عملتش كده إلا عشان...

- إلا عشان أنت ما بتحبش تعترف إنك غلطان.. مابتحبش إلا رأيك  
أنت وبس.. بالمناسبة.. عايزة أعرف لقيتوه فين وازاي.

نظر لها مندهشًا، ثم شعر كأنه طفل صغير قابل مدرسته على باب  
الفصل، فراح يمزح معها حتى صار الآن على مقعده داخل الفصل،  
ولا بد أن يجيب على أسئلتها وإلا عزلته في ركن الحجرة..

صاح بصوت مختنق:

- يا علي.. يا سيد علي يا ملاح.

جاء علي من طرف الحجرة الآخر وعلى وجهه ابتسامة هادئة،  
وراح يقلب بعينه على وجهيهما.

- ملخص تقرير مسرح الجريمة.

أخرج علي من جيبه بطاقة ذاكرة صغيرة، وناولها لإيرين التي لم  
ترفع عينيها من فوق صدر الجنة:

- ارغي يا علي.. ارغي.. كلام يا أمताز كلام.

أعاد علي بطاقة الذاكرة إلى جيب معطفه، ثم تنحى وراح يردد  
بصوته الإذاعي الرخيم:

- الجنة لذكر في أواخر الثلاثينات.. لقاها حارس أمن الوردية  
الصباحية.. حوالي الساعة ٦ صباحاً.. وكانت متعلقة مصلوبة بين  
عامودين حجر من الاكتشافات الجديدة في أبو صير.. سبب الوفاة  
المبدئي هو أزمة قلبية غالباً نتيجة صدمة عصبية.

- صدمة عصبية ايه يا علي.. كل اللي في وشه ده وصدمة  
عصبية؟

نظر له علي في برود ثم تابع:

- ده كلام الطبيب الشرعي مش كلامي أنا...

ثم تنحى من جديد وتابع:

- زي ما احنا شايفين مفيش بصمات.. الجنة صوابها كلها  
اتحرقت وكأنها مسكت كرة نار.. بنحاول نتعرف عليه من قاعدة  
بيانات الـ DNA.. الغريب بقى كان ده

ثم أشار بإصبعه نحو صدر الجنة وتابع:

- ده حرق غريب.. مش معمول بحديد منصهر ولا بفورمة حرق..  
غالبًا كده معمول بمكوة كبلات.

- يا نهار أسود.. ده ايه السادية دي..

نظرت إيرين نحوه مستنكرة، ولسان حالها يتعجب من ضابط في

المباحث الجنائية، وتحديدًا في وحدة الجرائم عالية الخطورة، ولا زال يندهش من رؤية جرائم مادية بسيطة مثل هذه..

- بس يا أستاذ علي.. الحرق ده شكله غريب جدًا.

- بالضبط.. عامل زي ما يكون حرف U مقلوب.. أو شبهه.. شبه حدوة الحصان.

- حدوة حصان.. حدوة حص.

ابتسم كريم مقاطعًا:

- دي مش حدوة حصان يا دكترة.. دي شبه حرف لاتيني مشهور أوي.

ثم أخرج هاتفًا محمولًا من جيبه، ثم راح يضغط بأصابعه على الشاشة، وبعد لحظات ناول الهاتف إلى إيرين.

- أوميجا.

قالتها مشدوهة وهي تقلب نظراتها بين كريم وعلي، ثم راحت تقلب نتائج البحث بأصابعها الملوثة بالفورمالين.

- حرف أوميجا اللاتيني.. Ω.

بينما أكمل كريم:

- حرف أوميجا اللاتيني.. آخر حرف في الأبجدية اللاتينية.. وهو رمز المقاومة الكهربائية.. ورمز كثافة الكون و...

قاطعته إيرين وهي لا ترفع عينيها عن شاشة المحمول:

- ورمز نهاية العالم.. المعركة البشرية الأخيرة.

تنحج علي ونظر إلى كريم، فقال كريم معقبا:

- بغض النظر يعني.. أوميجا الرمز الأخير في كل حاجة.

telegram: @alanbyawardmsr

- بس يا ترى يا كريم باشا.. آيه معنى ده.. تنظيم إرهابي مثلا أو

عيال أناركية بيعنوا عن أنفسهم.

طقطق كريم بشفتيه مبديا عدم استحسانه، وقال متابعًا وهو

يتفحص الحرق في صدر الجثة:

- العيال دي شغلها بيبقى بطريقة مختلفة.. مش جثة مصلوبة

ومتعلقة وحرق في الصدر.

- يبقى أكيد تنظيم ديني زي عبدة الشيطان كده.

تنحجت إيرين مقاطعة، ثم رفعت الهاتف المحمول إلى وجه كريم

وقالت:

- في معرفة قديمة عندها فكرة مختلفة شوية يا كريم باشا.. بص

كده.

تناول كريم الهاتف المحمول، وقربه من وجهه متفحضا، وقرأ وهو

يشم رائحة الفورمالين العالق بالشاشة:

- تحقيق تكتبه سمر غنيم.. مش دي بنت المحامي محمود غنيم.

- بالضبط.. الصحفية اللي بتشتغل في الموقع بتاع ماهر  
الرفاعي...

عاد كريم يقرأ بعينون متلاحقة، بينما نظر علي الملاح في ساعته،  
وإيرين تراقبه بطرف عينيها، ثم أشارت له إشارة خفية كي يخرج  
من المشرحة إذا أراد، فخلع الأخير قفازاته، ورحل من المشرحة  
كأنه سجين نال إفراجه.

- كلام غريب أوي يا إيرين.. أو بالأصح كلام فاضي.. حاجة كده  
خليط من الخرافات والأساطير وكلام الكتب إياها.. على شوية  
نظرات علمية متقيفة.

ثم رفع رأسه وراح يبحث بعينه في المشرحة:

- أو مال فين الأستاذ الملاح؟

- لا مشي خلاص.. مواعيد العمل الرسمية.

- لا لا.. احنا محتاجين الحلواني.. الحلواني يا إيرين.

أشاحت بوجهها في أمسي، ثم نظرت إلى الجثة وقالت في أمسي:

- الحلواني خلاص.. دخل الصومعة ومش عايز يخرج.

- لازم نتصرف ونخرجه من الصومعة بتاعته دي.. احنا محتاجين  
الحلواني معنا ضروري.

ثم خلع قفازيه وهو يضع هاتفه المحمول في فمه:

- ان اوح اششف شمر أي ايبة الجلم.

- ايه.. بتقول ايه أنت؟

رفع الهاتف المحمول من فمه وقال..

- أنا هروح اشوف شمر دي جاية الكلام ده منين.

- اتفقنا.

ثم ألقى بالقفزات في سلة المهملات الصغيرة، ونظر إلى إيرين نظرة مطولة قالت كل شيء..

وبينما يغادر المشرحة، ويفتح الباب المعدني الثقيل، قال وهو مولر ظهره لإيرين:

- إيرين.

- نعم يا كريم.

التفت بطرف عينيه وقال..

- حمدا لله عالسامة.. حقيقي حمدا لله عالسامة.

ثم أغلق الباب المعدني العملاق خلفه.

وتنهت إيرين.. تنهيدة كادت تخترق قلوب الموتى النالمين نومتهم الأخيرة.. تنهت بحرارة.

وهي لا تزال تنظر إلى الباب.

المعادي - القاهرة.

التاسعة مساء.

الثالث عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

جلس سيف على مقعده الوثين مرتديًا ثيابًا بسيطة، وهو ينفث دخان سيجارته في هواء الغرفة..

بينما على الجانب الآخر من الغرفة، جلس اللواء حسني، وبين أصابعه سيجارته المحلية الطويلة، وهو يجول بعينه في جنبات الغرفة.

ثم تنهد وقال وهو ينظر إلى ركن قصي في الغرفة:

- الله يرحمك يا إبراهيم بيه.. الفاتحة على روحك.

ثم وضع سيجارته في المنفضة الزجاجية، ورفع كفيه قارئًا الفاتحة في سكون.

بينما عينا سيف تنظران إلى نفس الركن القصي.. وتذكران.

منذ خمسة وعشرين، كان اللواء إبراهيم عبد الفتاح يجلس هنا..

ينظر إلى رقعة الشطرنج في هدوء، ودخان السجارة يتصاعد بجوار وجهه القسيم حاد النظرات..

عويناته المستديرة الصغيرة تنحسر عن أنفه الكبير وثلاثة أصابع

من يده اليسرى تحمل رأسه الممتلئ وكأنهم أطلس حاملاً الكرة الأرضية..

يتنضح بصوت مرتفع، ثم يرشف من فنجان القهوة الأبيض مكسور الأذن، ويتلذذ بمذاق البن الأسود كثير التحويج..

وتمتد يده اليمنى نحو ذلك الحصان الحائر فوق رقعة الشطرنج، وتحركه بحركة حاسمة..

بينما على الجانب الآخر كان الملازم سيف الدين يجلس بجسده الذي بدأ رحلة الترهل، قلقاً متوترًا، كأنه قط سيامي يتربص بعصفور حائر..

- ايه يا سيادة اللوا الحركة دي.. أنت كده هتضحى بالوزير  
فيجيبه بصوته الوقور الهادي:

- العب وأنت ساكت يا ولد.. ثم إنه وزيري أنا مش وزيرك أنت.  
يضحك سيف تلك الضحكة التي تختلط فيها السخرية بالجدل بالفرحة، ثم يمد يده نحو الطالبة السوداء، كي يجهز على وزير سيادة اللواء.

لكن صوتًا حاسمًا يدوي في رأس سيف:

- ده فخ يا سيف.. فخ.. سيادة اللواء بيحرك لفخ.

تقف يده في الهواء وتحتبس أنفاسه كلما أوقف المخرج كادرًا

سينمائيًا.. وتتعالى ضحكات اللواء إبراهيم.

- ايه.. وقفت ليه.. ما تخلص عالوزير بالطابية...

- ايه.. لا أنا محتاج افكر في الموضوع أكثر.

هنا يعود اللواء إبراهيم بظهره في المقعد الأسويطي الوثين  
ويرشف من قهوته من جديد.

ثم ينظر ناحية الباب نصف المفتوح، ويصيح بصوت مرتفع.

- محمد.. عيب كده.. ميبه يكسب بمجهوده..

ثم يضحك بصوت مرتفع، ويقرب رأسه من رأس سيف المفكر  
هامشًا:

- أصل أنا عارف هو بيعمل ايه.. وعارف كمان يقدر يعمل ايه.. مش  
أنت لوحدهك يا سيف اللي عندك عقل كبير بيعرف يفهم.

يبتسم سيف، ويرفع عينه ناحية وجه أبيه القسيم، ثم يردد:

يا ربها جت على محمد بس.. يا ربها.

صوت سعة اللواء حسني تخرجه من قلب فيض ذكرياته، ثم  
صوت القداحة الصغيرة تشعل ميجارة جديدة..

- الله يرحمه.. كان راجل عنده نظرة ثاقبة وبيعرف ينقي رجاله  
كويس..

- طبعا يا سيادة اللواء.. مش نراك أنت.

قالها سيف ساخرًا، لكن حسني تجاهله وأكمل:

- عشان كده أنا جاي ومعايا كلمتين عايز أوصلهم لصاحبنا.

- طب ما أنا عندي اقتراح تاني أحسن من ده...

ثم نظر له سيف تلك النظرة الشبيهة بنظرات محققي الأفلام  
الرخيصة:

- ما تقولهمله أنت بنفسك.

ضحكة مصطفى تدوي في رأس سيف..

وصوته المتلاعب يدوي في ممرات عقله.

- أداء أوفر أوي أوي.. يا أخي أنت كل ما بتكبر كل ما عقلك بيخف.

- ششششششششش.. بس..

ينظر اللواء حسني له مشدوقًا، فيتنحنح سيف وهويشبح بيده  
مبعدًا ذبابًا وهميًا في الهواء:

- بس بقى.. الدبان بقى مخيف والله ويضايق.

هز اللواء حسني رأسه الأثيب بلا مبالاة:

- أقولهمله بنفسي ازاي.. أنت تعرف طريقه؟

تعالى ضحكات سيف، ومعها ضحكات مصطفى الطفولية في

رأسه، ثم هدأت فورة ضحكه، وهو ينهض من مقعده متناقلاً

كديناصور الأفلام القديمة، ويمشي في الممر تاركًا اللواء حسني

يأكل فلتز سيجارته من فرط التوتر..

وبعد دقائق، عاد سيف إلى الغرفة وفي يده زجاجة ماء، وكوب بلاستيكي صغير وضعه أمام اللواء حسني وهو يقول:

- معش أصل الكوبيات القزاز ممنوعة في البيت هنا.. أصلهم بيقلوا إن عندي ميول لتحارية.. برغم يعني إن عندي سكاكين وشوك عادي.

ثم صب بعض الماء في الكوب، وتابع:

- اشرب يا سيادة اللواء.. شوية مية تبل بيهم ريقك.. وعلى ما تخلص.. هيكون قدامك هنا.

شرب حسني الماء بنهم، وما أن أنهى كوبه البلاستيكي، حتى سمع الصوت الواثق العميق يرن في أذنه:

- ازبك يا سيادة اللواء؟

ترك الكوب يسقط من يده، ونهض منتفضاً، وهو يلتفت إلى مصدر الصوت..

وأمام عينيه الرماديتين، كان يقف الآن..

قامته الطويلة الفارعة، ووجهه الأسمر الذي لوحته شمس الصحراء، وعيناه السوداوان العميقتان..

عاقداً كفيه خلف ظهره، يبتسم ابتسامته الهادئة التي ما أن

تلاحظها حتى تختفي.. محمد حارس.. بشحمه ولحمه..

- أنت فعلاً.. ده أنت.. محمد حارس..

ابتسامته تظهر وتختفي من جديد، وكفه المعروقة طويلة الأصابع تمتد من خلف ظهره نحو حسني، مصافحاً إياه..

بينما صوت مصطفى يدوي في رأس سيف:

- هو كل الناس هنا أداها أوفر كده ليه!

إلا أن المصافحة اكتملت، وما إن أعاد حارس كفه خلف ظهره، مال برقبته الطويلة ناحية سيف، وابتسم وهو يقول بهدوء:

- أزيك يا مصطفى.. اتمنى إني ما أكونش أوفر أنا كمان.

*telegram: @alanbyawardmsr*

اتسعت ابتسامة سيف الساخرة، بينما يدوي صوت مصطفى الوهمي في جنبات عقله.

- إيه ده هو بيسمعني ؟ ازاي؟

- بيسمعك.. وعارفك كويس أوي..

بينما راح اللواء حسني يقلب عينيه بين سيف وبين جنبات الغرفة، ثم قال:

- مصطفى مين.. هو في حد تاني معنا في الأوضة؟

- ما تشغلش دماغك أنت يا ميادة اللواء.. اتفضل ارتاح...

جلس اللواء حسني فوق مقعده، بينما وقف حارس مستنداً على

باب الحجرة، وقال بهدوء:

- ودلوقتي.. أنا قدامك أهو.. عايز تقولي ايه؟

استجمع اللواء حسني شتات نفسه، ثم أخرج من جيبه صورتين فوتوغرافيتين، طبعتا بطابعة ليزر على ورق أبيض ناصع، وناولهما لحارس الواقف بجواره..

ففض حارس ثنيات الصور وراح يتفحصهما بعناية، ثم انعقد حاجباه الكثيفان، ونظر إلى وجه اللواء حسني في حدة، ثم عاد يتفحص الصور من جديد..

- الكلام ده حصل امتى؟

- من يومين.. تحديدًا فجر يوم ١٠ ديسمبر وفجر النهاردة.

- والثنين بنفس الطريقة؟

- وش منهوش متهتك.. وعلامة الحدوة دي فوق الصدر.

تذكر أنك حملت رواية حارس البعث حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصریات أكبر مكتبة للكتب والروایات الحصرية والمميزة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب في خلة البحث مكتبة بيت الحصریات هنظهرلك.

ناول حارس الصور لسيف، وجلس بجواره مواجهًا اللواء حسني، الذي أشعل سيجارته الرابعة في نصف ساعة:

- الغريب هو مواقع الجرايم.. وده اللي خلاني أدور عليك.  
نظر له حارس في اهتمام، وكأنه يطلب منه أن يكمل، فقال:  
- أبو صير في البدرشين.. جنب الحفريات الجديدة.. وتمي الأمديد  
عند حفريات تل الربع.

لنعتقد حاجبا حارس الكتيفان، وقال هامسا وهو يضغط على  
أمناله:

- بر أوزير.. وديت.

- دي تعاويد ولا أسامي شياطين.

قالها اللواء حسني وهو يميل بجسده نحو حارس، فقال الأخير:

- دي مواقع مدينتين كان فيهم آثار لأوزير...

- أوزير ده اللي هو أوزوريس يعني؟

تجاهله حارس وهو يعيد النظر إلى الصور، بينما قال سيف هامسا:

- هو ما بيحبش الأسامي اليونانية.. عمره ما استخدمها وهو  
بيوصفهم.

- ما علينا من الأسامي.. ايه رأيك يا حارس؟

رفع حارس عينيه من فوق الصور، وقال في هدوء:

- رأيي إنه للأسف.. المعركة قرئت جدًا.. ولازم نبدأ نستعد.

- معركة.. معركة ايه.. فهمني أنت تقصد ايه!

نظر حارس إلى الصور من جديد، وأشار بأصبعه الأسمر الطويل إلى صدر إحدى الجثث قللاً:

- الرسالة دي رسالة امتدعاء عشان أظهر.. عشان نصفي حساب قديم جداً.. حساب عمره أطول من الزمن نفسه.. أنا بقالي خمس سنين في أثرهم.. لكن الظاهر إن المرة دي قررنا إن اللعب يبقى عالمكشوف.

- طب وانت ناوي تعمل ايه؟

نظر حارس إلى سيف في هدوء، ثم قال:

- ناوي أنزل أعمل جولة ميدانية أنا وسيف.. عشان احنا محتاجين شوية مساعدات.

- مساعدات من مين؟

نظر له حارس وعلى وجهه تلك الابتسامة الهادئة، ثم قال في هدوء:

- من المسافرين.. المسافرين نفسه.

\*\*\*

غابة إتريك - مملكة أسكتلندا.

الثامنة صباحًا.

الخامس من أغسطس عام ألف ومائتين وسبعة وتسعين.

أشجار مرتفعة متشابكة إلى عنان السماء كقامات العمالق،  
والشمس لا تجسر حتى على إرسال أشعتها القوية خلال شعر  
العمالق الأخضر المتشابك، ورائحة الصيف المرصعة برائحة الندى  
الملاصق لجذوع الأشجار الخشبية المنتصبة هي سيده الروائح في  
قلب هذا التشابك المتناغم.

وخلف جذع شجرة منديان ضخمة، وفوق حشائش مزدهرة  
متمردة على كل تنسيق، خرق من القماش التي ملأها قذارة طين  
المستنقعات وقطرات من دم طازج متفجر تستلقي في محاولة منها  
لالتقاط أنفاس عز عليها صاحبها بها، وقامة مستقيمة منتصبة  
كقامات الأشجار تلقي بنفسها فوق الحشائش عارية مما يستر  
الجسد ويغلفه، وشعر اختلطت منابته بقطرات الندى، وطين راكد  
من ألف مستنقع، وعينان حازمتان زرقاوان تعبان بأشعة الشمس  
التي حاولت التلصص من بين أغصان العمالق..

ووليام لا ينام.

وليام لا يغلق عينيه أبدًا منذ ثلاثة أشهر وخمسة أيام، وليام لا  
يلقي بالًا للنوم أو للطين الذي استوطن منابت شعره الثائر ولا للدم

الذي التصق بمنحنيات خرقه البالية التي تستر جسده المتفرد بقوة  
خمسة رجال كما تقول عنه الإشاعات..

وليام لا يهاب أحدًا، لا يهاب إدوارد الأول على عرشه في يورك،  
ولا يهاب النبلاء الملتصقين بكراسيهم الخشبية الفارين إلى أقدام  
إدوارد الأول طالبين الرضا، قانعين بفتات يلقيه لهم فوق مائدته  
العفنة فيهرعوا إليه كدجاجات مذعورة..

وليام لا يهاب حتى ندرة النوم.

وليام لا يهاب سوى الخيالة!!

ثلاثة أشهر منذ أن غزا صيف أسكتلندا الرطب صفوف جيشه  
الصغير وهو لا يرى سوى تخاذل وقلة حيلة وقلة إمدادات، واختباء  
بين أحضان أشجار السنديان والبلوط العجوز، وهجمات صغيرة لا  
تصنع فرقًا إلا مع العجائز الملقين فوق ظهورهم يرددون أساطير  
عن وليام والاس الذي قرر أخيرًا أن يكون غولًا خرافيًا يورق  
مضاجع إدوارد الأول في فراشه الوثير..  
كلهم لا يعرفون الحقيقة عن وليام..

كلهم يظنونه شبحًا أو غولًا أو ذئبًا بشريًا يعقر الرقاب وينهش  
اللحم الحي ثم يختفي داخل الرماح العملاقة في إتريك..

إتريك التي أصبحت أحن على قلبه وروحه المضطربين من صدر  
أمه!

كلهم لا يرون ما بداخله من ثورة ولا ما بداخله من غضب، كلهم لا يحلمون بذلك اليوم الذي تصبح فيه المملكة مملكة ملك شعبها، لا ملك إدوارد الأول ذي الساق الطويلة ووريثه المخت..

ينفر والاس من مكانه ويقفز واقفاً وخضجره المصنوع من صلب صقله بيده رابطاً بين أصابعه الجافة، إن البقاء في الغابات بين الضواري يورث المرء حواماً قوية متحفزة..

إن صوتاً واحداً فوق الحشائش ولو لجرذ بريٍّ جائع قد يحفز وليام على القتل..

ثلاثة أشهر وخمسة أيام بلا نوم تجعلك متحفزاً لقتل أبيك حتى لو فكر أن يمر من جوارك فوق الحشائش!

ينتصب وليام كشجرة منديان عجوز وقدماه العملاقتان تتشبثان بالحشائش الطرية بفعل ندى الصباح، تضيق عيناه الزرقاوان مفسحة مجالاً لأذنيه لتلتقطا حركة خفيفة فوق الحشائش، حركة لو ظهر صاحبها الآن لندم على أنه تحرك بجوار مرقد والاس الرهيب..

الصوت من جديد، ووليام يزداد تحفزاً وعدوانية وامتعداداً للالتقاط..

تحذثه نفسه المضطربة بأنه إن مات الآن فليمت واقفاً فوق قدميه لا راكفاً على ركبتيه اللتين أرهقتهما كثرة الرطوبة بين جنبات الغابة المتشابكة.

- اهدأ يا والاس.. لا أبتغي بك شراً.

صوت واثق رخيم عميق كصوت دب راض عن فريسته بعد التهامها،  
يأتي من كل مكان ومن لا مكان، وقديما وليام تزدادان تشبثا  
بالحشائش.

- اهدأ.. لو أردت قتلك لكنت لا زلت ممدا فوق الحشائش عارباً إلا  
من دمالك الطازجة.

- ومن تكون بحق السماء؟

قالها ضعيفة قلقة فندم على قولها..

لا يصح أن تخرج كلمات كهذه من فم والاس، لا يصح أن يرى أي  
منهم ما في مكنونه من ضعف وقلة حيلة..

ولكن من يكون هو؟!

- أنا هنا كي أساعدك.. فقط أعد خنجرك إلى غطائه وأعد جسدك  
إلى ردائه.. والذن لي بالظهور يا سيد أسكتلندا.

الصوت لا مخربة في كلماته ولا في حروفه، واللغة أسكتلندية لا  
خطأ فيها ولا نبرة أجنبية.

من هو؟؟ أحد النبلاء الساخطين أم أحد الاتباع الهزيلين عديمي  
المنفعة.

لا يا وليام، هذا الصوت لا يخرج من نبيل مرتعد تراكمت الشحوم  
على حنجرته اللينة ولا من مزارع هزيل أفقدته السخرة صحته

وحجرته البائسة..

يرفع وليام أسماه فوق جسده وهو يتذكر أياما كان ينام فيها  
متدثرا بفراء دببة الشمال الناعم، المسلوخ عن أجسامهم الضخمة،  
المذبوغ على ضفاف بحر الشمال العاتي.

يتذكر ليالي كان فيها سيذا لـ (الديرمل) قبل أن يسطع نجم غضبه  
وتخترق شهرته الوحشية أركان أمكتلندا الأربع قبل أن تصل إلى  
مخدع الساق الطويلة وتقلق منامه ومنام ولي عهده ونبلاته  
الملعونين..

هنا فقط يبرز من خلف الأشجار..

قائمة فارعة الطول، مدثرة برداء أسود حالك وغطاء رأس لا يظهر  
من الوجه إلا كما تظهر الشمس من بين أغصان الغابة..

ووالاس لا يزال قابضا على خنجره حتى أصبح مقبضه جزءا من  
قبضته القاسية.

- اكشف عن غطالك وإلا لا أمان لك.

- وهل طلبت منك الأمان يا ابن الشمال؟

- إذن فلا أمان لك عندي ولا أمن.

- إن الأمان لا يُمنح من معدومه يا والاس...

كلام قاس ولكنه صحيح..

هو مجرد بقرة لا تملك من أمانها شيئاً ولا تستند إلا إلى جيشها الصغير الحائق الغاضب.. لطالما سأل نفسه عن سبب يمنحه لهذه العصابة، ليبرر به بطشه وكثرة إراقتة للدماء وحرقه لكل ما يقابله.. لم يخرج من إترك يوماً إلا وقد حرق وأراق كل ما يقابله، حتى يعود للغابة طالباً أمانها.

- لكني سوف أريك ما تشاق نفسك أن تراه.. فتكن وتهدأ إلى ما هي مقبلة عليه.

ثم رفع الشبح أغطيته.. وجه أسمر كلما نحت في قالب من طين، ولحية منمقة على هيئة تشبه حدوة الحصان، تحت الفم المضموم الصامت، وعينان بلا لون لا تعرف إذا كنا موجودين أو أنك تتوهم وجودهما.

- من أنت بحق السماء؟؟ وأي ربح قذفتك إلى هنا؟

- الأمطار لا تسقط دفعة واحدة يا والاس.. فلا تستعجل الإجابات...

ثم اقترب الشبح المتشح بالسواد وقال:

- جئتك من خلف البحر المائج بسفن لا تستقر في موانئ.. جئتك كي تضع غضبك العارم في مساره الصحيح.

- وما تعرف أنت عن غضبي وعن مخطي أيها الغريب الأسمر.. ما تعرف أنت عن دماء تسيل أو أرواح تزهر حتى تصبح الأرض ملكاً لأصحابها.

- وما تعرفه أنت يا والاس؟ ما تعرفه غير حرق القرى وذب  
الرجال وسبي النساء؟

عينا وليام الزرقاوان تجحطان حتى صار بؤبؤاهما في حجم كرتي  
نان، وقبضته تعود لتلتحم مع خجره الحاد في وقفة دب غاضب  
يوشك على الانقضاء.

والشبح يكمل كلماته الواثقة العميقة.

- هل تظن أن حرقك لـ (أنارك) وذب رجالها قد يجعل منك بطلاً  
محزناً.. إن الدب يحطم أوكار الذئاب.. فهل تجعل منه الحملان  
بطلاً؟

- كان حرقها عملاً صحيحاً لا جدال فيه...

- هذا إن كتبت أنت التاريخ يا والاس.. إن التاريخ يكتبه  
المنتصرون المظفرون بالفضائم.. وأنت لن تكون سوى زعيم عصابة..  
سفاك للدماء يا صديقي.

زمجر والاس غاضباً وازداد تحفزاً.

- الصبر أوشك على النفاد ورجالي في كل مكان ينتظرون  
صرختي ليمزقوك إرباً.. حتى وإن قتلتني فلن تخرج منها حياً.

شبح ابتسامة ساخرة ظهر على وجه الغريب، وعيناه تلمعان في  
أشعة الشمس الشاحبة التي تتسرب من فروع الأشجار.

- أنت تريد أن يحكم الناس أرضهم...

- هذه غايتي وما أصبو إليه.

- وأنا أريد ذلك يا عزيزي الغاضب.. فقط أنا أعرف كيف تفعل ذلك بينما لا تعرف أنت.

حاجبا وليام ينعقدان، الآن بدأت خلايا ساكن رأسه تعمل وتمنحه بعض الإجابات، قطرات من الأمطار بدأت تنهمر فوق صحراء عقله القاحلة.

- وكيف تعرف ما ينبغي فعله أيها الغريب؟

- هذا ما سوف تفعله عندما أعلمك إياه أيها القائد.. فقط مستقطع وعدًا لا حل منه ولا مناص...

- وأي وعد هذا؟

اقترب الغريب حتى كادت عيناه تصدمان بعين وليام المضطربة وحاجبيه الملتقيين في نقطة ما فوق جبينه الواسع.

- سوف تقطع وعدًا بآلا تعصى.. منذ أن تصبح منا فأنت منا.. لن تكون يومًا إلا منا ولن تكون يومًا لغيرنا.

- أنت لا تعرف والاس أيها الغريب.. إن والاس لا يتبع أحدا ولا يدخل أقفاص أحد.

الصوت الواثق العميق يغزو نفسه المضطربة:

- مستقطع الوعد يا والاس.. أنا أرى ما بداخل روحك المضطربة ونفسك الجامحة.. أنت تريد هذه الأرض لنسلك ونسل أجدادك

وأعمامك وأخوالك.. وأنا كذلك.. أنت تعرف أنك لن تصل إلى ما تريد  
بغير مشورتى.. وأنا أعرف ذلك.. لذا ستقطع الوعد كى تصبح منا...

حروف كلماته، وصوته الرخيم العميق القادم من ألف ألف بئر،  
وعيناه التي لا يعرف لها وليام لونًا ولا يذكر إن كان قد رأى مثلها  
في بلاده الباردة، وثقة الغريب التي لا يعرف كيف جاء بها إلى  
عرين الدب بلا خوف..

- تبدو واثقا أيها الغريب.. لكن الاختيار لى.. والاس لا يمنح حريته  
لأحد.

- إن الأبقار لا تمنح لبنًا بغير عشب يا فتى الشمال.. امنحني حرية  
اختيارك.. امنحك السبيل إلى حرية أرضك.

صوت عميق يأتي من داخل روح وليام، ورؤى جيشه الصغير  
المنسحب من لئارك مثقلًا بالجراح وبالدخان، وأعدائه المتريصين،  
وجيش الساق الطويلة يتجمع فوق سهول يورك، ونبلاء ملاعين  
يقتاتون على كسرات مائدة يورك ويتقاسمون فيما بينهم عطايا  
إدوارد الأول ورؤوسهم تنحني في ذل، ومزارعين لا يعرفون من  
الأرض إلا طينًا ينامون فوقه أو تحته، وقائد طريد يختبئ بين ثنايا  
الجبال وخلف أشجار السنديان والبلوط.. كل هذا جعله يرفع رأسه  
نحو عيون الغريب.. يرفعها ويومئ بها في انصياع.. وهو يعرف  
أنه سيقطع وعدًا على نفسه. وعد لن يخلفه أبدًا!!

الآن هو اليوم.  
وهذه هي الساعة.  
انظر إلى جيوش إدوارد المتبخترة.  
رمز قيود العبودية..  
فلنقاتل أو نمت..  
أبقِ المغتصبين مهزومين.  
واضرب بقوة.  
تسقط ضرباتك كل الطغاة.  
إن الحرية تكبر في كل ضربة!  
فلنقاتل أو نمت..  
لا يوجد حل آخر..

روبرت برنز.

الأمكتلنديون يستطيعون.

١٧٩٢ م.

تمت